حرب تشرين الأول المجيدة والثورة الفلسطينية

الدكتور سعيد حمود

ليس ممكنا تصور أفضل من بداية حرب عربيـــة بالشكل الذي بدأت فيه بعد ظهر السادس من تشرين الاول وفي ظل الظروف التي كانت سائدة قبل ذلك التاريخ ، بالنسبة للثورة الفلسطينية وبالنسبة للقضية التي من أجلها تقاتل . ويمكننا القول ، بكلام آخر ، أن الثورة الفلسطينية لم تكن ، في أكثر تحليلاتها تفاؤلا ، تحلم باشتعال الجبهات العربية على النحو الذي حدث . ان خروج الجيوش العربية لمقاتلة اسرائيل ، بعد فترة صمت قاتل غير قصير ، بصرف النظر عن حدود القرار الذي وجه تحركها ، يعتبر عاملا حاسما في الصراع الذي تخوضه الثورة الفلسطينية ضد العدو الصهيوني المغتصب . ومهما كانت قاسية ظروف حالة اللاسلم ـــ اللاحرب على الاوضاع العربية وخاصة في مصر وفي سوريا وعلى جيشيهما ، فانها كانت أشد قسوة ومرارة بكثير على وضع الثورة وعلى مقاتليها . وعندما كانت الثورة تركز فكرها وتخطط لخطواتها ولتصعيد نضالها بهدف الخروج من المأزق ـــ الازمة ، ومن حالة الانحسار التي عاشتها طويلا ، بالذات منذ أيلول عمان الاسود في العام ١٩٧٠ ، لم تكن تجد مناصا مـــن رؤية اشتعال الجبهات العربية في وجه العدو الاسرائيلي ، مناسبة تاريخية لا مثيل لها وعاملا أساسيا مـــن عوامل الخروج من المأزق . كان وما زال في صلب قناعة الثورة ، ان اشعال القتال وازكاء روح المجابهة وانعاش آمال الجماهير بعدم استحالة تحقيق أهدافها ورفع حالة الظلم والقهر المهيمنة عليها ، انما هي العوامل الرئيسية المهدة للنهوض الثوري العارم الذي يضع المنطقة كلها على مسار حرب الشعب الطويلة المكللة بالنصر في نهاية المطاف. ولقد كان صحيحا وموضوعيا ، اذن ، ان ترى الثورة الفلسطينيـــة ، كفصيل طليعي مقاتل ، من فصائل حركة التحرر العربية ، بركود الجبهات العربية ، وما ترتب عليه من نتائج سلبية على مختلف المستويات ، كان طبيعيا ان ترى الثورة بكـــل هذا ، مناخا لتحطيم معنويات الجماهير ، وتأخير نهوضهـــا الثوري ، وجرها الى مواقع اليـــأس واللامبالاة .

من هنا ومع انطلاق النار العربية وبدايات الزحف العربي المقدس يوم السادس من تشرين الاول المجيد ، وجدت الثورة الفلسطينية نفسها في تلاحم مصيري لا مثيل له مع الانطلاقة المقاتلة . وابان القتال شعرت الثورة وفعلت وتحركت وكأنها الحليف الرئيسي الطبيعي للرصاص المنهمر . وسوف تظل أيام القتال المجيد وساحاته وأعماق فلسطين شاهدا بارزا على دور المقاتل الفلسطيني وعلى بطولاته وعلى عطائه السخي وعلى الاثر الفاعل الذي أحدثه هـــذا الدور . وعندما نستعرض بعد قليـــل عمليات الثورة الفلسطينية خلال الحرب على الجبهات العربية وفي أعماق فلسطين المحتلة ، فاننا لن نتمكن من الحديث الا عن جزء من الحقيقة ، لان ضخامة الحرب نفسها من جهة، والتعمد في التعتيم على الدور الفلسطيني من قبل العدو ومن قبل غيره ، من جهة أخرى ، أحدث ستارا على الحقيقة كاملة . رغم ذلك فقد كان دور المقاتل الفلسطيني رائعا ومعطاء وتعبيرا صادقا عن معنى اندلاع الحرب بالنسبة للثورة وقضيتها . البندقية الفلسطينية،